التعددية في تصميم الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي

آلاء طالب كريم

ملخص البحث:

شكل الانسان ومنذ وجوده الأول على وجه الارض حلقة وصل لعلاقة ارتدادية حركية متطورة ناجمة عن تفاعل شبه معقد ما بين البيئة الطبيعية والبيئة المشيدة ، وكان نتاجها بقاء الانسان وديمومة وجوده ، حيث مكنته البيئة المشيدة من المحافظة على حياته من تقلبات البيئة الطبيعية ومنتفعيها سواءً من نظرائه في الخلق او غيرهم كالحيوانات المفترسة مثلاً ، كما وانها لبت حاجاته المتعددة كالشعور بالأمان والراحة وممارسة فعالياته الحياتية ... الخ ، هذا التفاعل المتبادل نتج عنه ارث حضاري لمجموعة معالم تحكي سلسلة تطور هذه العلاقة عن طريق نتاج مادي وصل الينا اما منقولا عبر الوثائق والمخطوطات واما ثابتاً كمعلم باقي يمكننا من خلال تحليله ان نتمكن من ادراك البعد الفكري والثقافي والعلمي والاجتماعي لإنسان تلك الحقبة ، ويعد البيت البغدادي نوع من أنواع المعالم التي تحكي عالماً في ظاهره البساطة ككتلة مغلقة من الخارج ، وباطنه تعقيد مرن في تجمع متعدد لا في عدد الفضاءات فقط ولكن في تعدد الوظائف لكل فضاء .

مشكلة البحث:

ان الاستغلال الامثل للمساحات وتصميمها بشكل يوفر الراحة البدنية والنفسية للمستخدم مع الاخذ بالاعتبار بقاء هذه الفضاءات لازمان ابعد من زمن انشائها يعد عمل أقرب الى المثالية في تحقيق التعدد التصميمي والنفعي لتلك الفضاءات، وكان ولا يزال هذا المطلب الشغل الشاغل للمصمم لذا عمد الى محاكاة ما يطرحه الغرب من نماذج تصميمة قد لا تنسجم مع الواقع البيئي واهمال الانموذج المحلي الذي من خلال تحليله يمكن الحصول على أفضل الحلول التصميمية والنفعية للواقع المحلي، وعليه يمكن صياغة مشكلة البحث بالتساؤل التالي:

هل التعددية مرتكز اساسي في تصميم الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي؟

أهمية البحث:

جاءت اهمية البحث الحالي في كونه يشكل اضافة معرفية تغني الدارسين والمهتمين في مجال التصميم الداخلي والعمارة التراثية بمادة علمية موضوعية تضاف الى علوم بحثية اخرى في المجال ذاته، وتنفرد عنها بتناول موضوع التعددية في تصميم الفضاءات الداخلية لواحدة من اهم معطيات العمارة العراقية والمتمثلة في البيت البغدادي.

هدف البحث:

يهدف البحث الى الكشف عن طبيعة المتغيرات التصميمية للفضاءات الداخلية للبيت البغدادي واساليب تنظيمها وتشكيلها الوظائفي، فضلا عن التعرف على كيفية محاكاته للواقع البيئي والتي تنعكس على السلوك الذهني والحركي للمستخدمين.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: التعددية في تصميم الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي.

الحدود المكانية: منتدى بغداد الثقافي في منطقة الكاظمية• .

الحدود الزمانية: (بداية القرن التاسع عشر).

تحديد مصطلحات:

التعددية: PLURALISM

التَعدُّدية (لغة): عرفت في المعجم الوسيط بانها لفظة مشتقة من " تَعدَّد :صار ذا عدد، وهم يتَعدَّدون على ألف اي يزيدون " [1] اما في معجم اللغة العربية المعاصرة فالتَعدُّدية هي " (مفرد) مؤنث منسوب الى تَعدُّد ، مصدر صناعي من تَعدُّد ، وهي مفهوم ينادي بان هناك عدة انواع من الواقع والحقيقة مع ضرورة قبول الانماط " [2] .

تاتي كلمة Pluralism باللغة الانكليزية بعدة معاني " تَعَدُّد، كثرة، اكثرية " [3]

التَعدُّدية (اصطلاحاً): عرفها جميل صليبي بانها " تعدد الشيء صار ذا عدد، تقول: تعدد الاصول، وتعدد النفوس، وتعدد الحقائق، تعدد الآلهة، تعدد الغايات، وتعدد معاني الالفاظ، وتعدد القيم" [4] ، وجاء تعريف التَعدُدية في المعجم الفلسفي بانها " نزعة فلسفية ترمي الى تفسير الوجود والمعرفة والسلوك في ضوء مبادئ متعددة وتقابل الواحدية والثنائية " [5] .

التعريف الاجرائي

التعددية في التصميم: هي التعدد التصميمي والنفعي للفضاءات الداخلية على مستوى الوحدة الواحدة، والوحدة والكل، لتحقيق بيئة داخلية مريحة منسجمة مع معطيات البيئة الخارجية المحيطة به وملبية لمتطلبات المستخدم.

الاطار النظري

المحور الاول: التعددية في التصميم الداخلي

ان حقيقة الكون تنطوي على وجود الاختلاف والتنوع والتباين ، التي شكلت في مجملها مجموعة متناقضات اثرت على هذه الحياة ببعد تكاملي منضو تحت سلطة نظام كوني إداري رتب المتناقضات محدثا انسجاما ساهم في ديمومة هذه الحياة ، وبما ان الانسان هو محور هذا الكون وحلقة الوصل ما بين مناقضاته فهو لم يغفل الاستلهام من هذا النظام في وضع منهاجه الحياتي ، ولعل البيت مكان السكن فهو من اهم مقررات منهجه الذي تطلب وجود نوع خاص من المعطيات والعلاقات للوصول الى تصميم بيئة داخلية مريحة تحقق احتياجاته ، بالاستفادة تارة وبالمحاكاة تارة أخرى للبيئة المحيطة به ، من هنا جاءت أهمية التصميم بصورة عامة والتصميم الداخلي بصورة خاصة كمطلب حياتي لا يمكن الاستغناء عنه ، كونه فعل قصدي غايته تلبية الحاجات الانسانية بمختلف مستوياتها والتأقلم معها بشكل شامل ومتنامي تفرضه المتغيرات المحيطة بالمستخدم ، كما إن الكثير من المنظرين عده احد الفنون التشكيلية المتداولة كالرسم والنحت والموسيقى ... الخ ، في حين ان للتصميم الداخلي وظيفة حسية بجانب الوظيفة الادائية ، ولعل هذا ما جعل البعض يصنف التصميم الداخلي كفن ادائي يحتوي الفنون الأخرى في موضوعاتها ، " فهو يعبر عن شقين متوازيين بل متداخلين أحدهما الشق العلمي والآخر الشق الفني ، الأول يخاطب العقل بينما يخاطب الثاني الوجدان والعاطفة "[6] ، ولكي يتمكن المتصدي للعملية التصميمة من تحقيق كلا الشقين لابد من تداخل منسجم ما بين علوم ومعارف ومهارات متعددة يعمل على تطويعها وتطبيقها بمهارة ومعرفة متراكمة ومتجددة تمكنه من جعل الفضاء الداخلي قادراً على " تامين الاحتياجات الاجتماعية اولاً وان تكون المواد والقوائم الانشائية المستعملة فيه متينة ثانياً ، واخيراً ان يكون البناء عملاً فنياً ، وهذا يعني ان يكون الفضاء الداخلي متصفاً بالملائمة والمتانة والجمال الفني " [7] ، فهو المكان الذي يقضي فيه الانسان معظم وقته ويمارس فيه احتياجاته الوظائفية والاحيائية والنفسية ، غير ان الفضاء الداخلي هو ليس ماكنة مثالية مصممة لتحقيق رغبات المستخدمين وتسهيل نشاطاتهم

الحياتية بطريقة روتينية غير قابلة للتغيير وانما هو بيئة ايضا يقضي فيها عدد من البشر قل او كثر معظم اوقاتهم ، بيئة شاملة مرنة قابلة للتغير مع وجود بعض الثوابت الذي يفرضها المحيط ، فحجم الفضاء والمحددات والضوء واللون او طبيعة المواد المستعملة في التصميم والعلاقات الوظيفية ما بين الفضاءات الداخلية المكونة للمبنى ككل كلها ذا تأثيرات في الاستجابة البدنية والنفسية للمستخدم ، فالبيئة الداخلية " تؤثر وتحد او تشجع سلوك المستخدم ، والمستخدم ايضا يؤثر في البيئة في محاولة منه للتكيف معها ، فالعلاقة بين سلوك المستخدم والبيئة متبادل ومتفاعل وحتمي من خلال تأثير الشكل او التصميم عليه " [8] ، ومن هنا يمكن ان تنشأ علاقات فضائية متعددة الاوجه لا حدود لمدياتها ضمن تراكيبها واصنافها المكونة لقوانينها ، وان كل علاقة تأخذ شكلها من خلال ملايين الانشطة التي يقوم بها الانسان حيث ان هذه الانشطة والفعاليات نفسها توجه من خلال ربط الافكار المسبقة التي يحملها هؤلاء الناس في اذهانهم في وقت انجاز ذلك النشاط او الفعاليات ، وعليه فان التصميم الداخلي هو فعل متعدد الاوجه تستثيره فعاليات بشرية متعددة ينتج عن هذه الاستثارة فضاءات داخلية متنوعة متغايرة تلبي حاجات مستخدميها ولكل المستويات .

المحور الثاني: التعددية في تصميم الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي

ان فكرة التصميم البيئي وان لم تكن متبلورة كمفهوم الا انها كانت المرتكز الأساس في عملية إيجاد وتصميم المسكن منذ وجود الانسان على وجه الأرض ، حيث شكلت البيئة بثوابتها ومتغيراتها تحديا نتج عنه ابداع في تطويع هذه البيئة لصالح الانسان وكلا حسب عصره مدعوما بخبرات من سبقه " فقد حرص الانسان على ان يتضمن بناؤه للمسكن امرين رئيسيين هما الحماية من المناخ ومحاولة إيجاد جو داخلي ملائم لراحته وقد عكس تصميم المسكن وتشكيله عبر التاريخ الحلول المختلفة المناسبة لكل حقبة وبيئة من اجل تحقيق هذا الهدف لذلك نجد المسكن في أي منطقة مناخية غالبا ما يوضح تراكم خبرات عديدة قد تصل الى قرون من محاولات الوصول الى المثالية في تصميمة وتشكيله بيئيا وبصورة بنائية جميلة أيضا "[9] ، ومما لا شك فيه بان البيت البغدادي هو نتاج خبرة ودراسة متراكمة لعصور سبقت انتاجه من حيث النسيج الحضري والتصميم الداخلي وهو لا يختلف كثيرا عن نظيره في الوطن العربي الا في بعض التفاصيل الصغيرة والتي فرضتها طبوغرافية الارض والمناخ ، فالبيت بجميع مكوناته هو نتاج نوعين من العوامل:

اولاً -" العوامل الناتجة عن عالم الواقع وهي التي تتعلق بالبيئة الفيزيائية والمواد البنائية والمناخية والطوبوغرافية والبيئة الطبيعية بشكل عام.

ثانياً -العوامل الناتجة عن التفاعل وترتبط بالمجتمع والدين والعادات الاجتماعية والحضارية بصورة عامة " [10] .

هذان العاملان بكل مفرداتهما تعاونا على انتاج وتطوير البيت البغدادي ، فرغم ان اغلب البيوت الموجودة حاليا في بغداد ترجع الى الفترة العثمانية المتأخرة وبداية القرن العشرين ، حسب المسوحات الموقعية التي اجراها الدكتور احسان فتحي• في عام1975 م ، الا انه ارجع نمطية تصميمها العام الى جذور تأريخية وهي " حضارة وادي الرافدين السومرية والبابلية العريقة ، حيث كان النمط الشائع فيها هو البيت (الخلية) ذو الفناء الداخلي المفتوح والمتراص مع خلايا مماثلة ومتكررة اخرى لتشكيل نسيجاً حضرياً موحداً " [11] ، وهذا بالفعل ما يمكن ادراكه في البيت البغدادي من خلال وجوده الكتلي المندمج مع تكتلات النسيج العمراني الحضري المكون للمدينة ككل ، بالإضافة الى الشكل المغلق من الخارج المفتوح من الداخل بفناء وسطي مفتوح نحو السماء ممثلا بيئة خارجية داخلية محافظاً على مبدأ

الشرفية والخصوصية ، كما وانه بفضل تصميمه من حيث الشكل والابعاد تحول هذا الفناء الى منظومة تكييف طبيعية " تعمل على تخزين الهواء البارد ليلا لمواجهة الحرارة الشديدة صباحا " [12]محققا منفعة وظائفية واحيائية ونفسية للفضاءات الداخلية المحيطة به عن طريق تزويدها " بالهواء والضوء الطبيعي كونها مفتوحة الى الداخل وكذلك يعطي الكفاءة والبهجة للتصميم مضيفاً عنصراً جمالياً معبراً ومقللاً التأثير السلبي للانغلاق " [13] ، ويصبح الجو داخل البيت اكثر جمالا في حالة وجود حديقة داخلية صغيرة تتناسب مع مساحة البيت او الاكتفاء بوجود نافورة صغيرة (شاذروان) يتوسط الفناء وتحيط بها بعض النباتات مكوناً بيئة خارجية داخلية محببة ، وكما هو موضح في الشكل رقم (1) .

صمم البيت البغدادي بحيث تكون الفضاءات الداخلية محيطة بالفناء وبشكل هندسي متناظر استجابة لمتطلبات المناخ العراقي الحار ونسيجه الاجتماعي ذا التقاليد المحافظة وتتعدد انواع هذه الفضاءات وكما يلي:

اولاً-" فضاءات مغلقة وهي الآرسي والحجر والكفشكان والسرداب اضافة الى فضاءات الخدمات كالمطبخ والحمام والمرافق الصحية وغيرها.

ثانياً -فضاءات اخرى بعض اطرافها مفتوحة وبدون جدار مثل: الطارمة او الايوان.

ثالثاً -فضاءات اخرى مكشوفة وليس لها سقف كالسطح وفناء البيت او الباحة الداخلية " [14] .

نلاحظ في الشكل رقم (2) صورة جوية لأخر ما تبقى من اثار مدينة بابل الاثرية والتي تشابه في تصميمها العام تصميم البيوت البغدادية، اما شكل رقم (3) فيمثل صورة جوية لبيوت بغدادية ضمن رقعة جغرافية محددة موضحاً فيها احتواء البيوت على الفناء الوسطي والذي يحاط بالكتل البنائية والتي تمثل الفضاءات الداخلية.

ان تصميم البيت البغدادي يتألف عادةً من طابق أول (أرضي) وطابق ثاني (علوي) ، ويكون " محاطاً بالبيوت الاخرى من ثلاث جهات ، وليس له في الغالب الا جبهة واحدة على الشارع العام او الزقاق " [15] ، هذه الجبهة بالنسبة للطابق الارضي تكون عادةً " مغلقة بجدار خارجي بسيط غير مزين او مزخرف وغير مقسم عدا المدخل الى البيت (باب البيت) فهو الموقع الوحيد في الواجهة المزين بزخارف جميلة واذا وجدت شبابيك خارجية فتكون صغيرة جداً ومشبكة وتقع مرتفعة مباشرة تحت مستوى السقف ، اما في الطابق العلوي فتطل شبابيك مشبكة ومزينة بزخارف كثيفة ومنها تلك التي يبرز فضائها فوق الزقاق بحوالي المتر تدعى (الشناشيل) " [16] ، وهذا يعني ان الشكل الصندوقي للبيت البغدادي والذي كان الغرض منه المحافظة على الخصوصية لم يمنع المصمم من إيجاد منافذ متعددة تحقق انفتاح البيئة الداخلية على البيئة الخارجية عن طريق إيجاد قنوات اتصال ، حيث ان " تصميم الفتحات في الجدران الصماء أمرُ على جانب كبير من الأهمية في معالجة العديد من النواحي التي يحتل فيها الجانب النفسي الصدارة ثم يليه كل من الجانب الانشائي على مستوى شكل المبنى ومنظره من الداخل والخارج ، والجانب البيئي المتأثر بحجم الشباك (الفتحة) ومواد الشباك الشفافة (الزجاج) ، حيث ان مستويات الإضاءة الطبيعية المتحققة داخل الفضاءات أحد الجوانب البيئية وأكثرها وضوحاً في علاقتها مع الفتحات " [17] ، فالشناشيل بحد ذاتها تصميم هندسي فريد من نوعه ، فهي مجموعة " نوافذ بشكل زخرفة خشبية تثبت فيها قطع من الزجاج الملون وقطع كبيرة من الزجاج الابيض لدخول النور ، وجميع النوافذ تفتح برفعها الى الاعلى وليس الى الجوانب " [18] ، ولها وظيفة ادائية فهي تعمل على :

1- ضبط مرور الضوء: يتكون الضوء الساقط من النافذة على أسطح الفضاء الداخلي من قسمين " الأول هو ضوء الشمس المباشر المكثف الذي تكون زاوية سقوطه بالنسبة الى مستوى سطح الفتحة كبيرة ويفضل عادةً

حجب هذا الضوء لأنه يسخن السطح داخل الفضاء والثاني هو الوهج المنعكس الاقل كثافة الذي يدخل بشكل شبه عامودي على مستوى سطح الفتحة فهو لا يسخن أسطح الفضاء بشكل فعال ولكنه يسبب ازعاج بصري، فتقوم الشناشيل باعتراض الضوء المباشر والوهج المنعكس بواسطة القضبان الخشبية للواجهة.

2- ضبط تدفق الهواء: يمكن عن طريق توجيه نوافذ الشناشيل التحكم في سرعة الهواء وتدفقه داخل الفضاء الداخلي " [19] .

3- " ضبط رطوبة الهواء: تقوم الشناشيل بضبط رطوبة تيار الهواء المار من خلالها إلى الفضاء الداخلي عن طريق وضع جرار ماء صغيرة في بروز الشناشيل المصنوعة من الخشب وهو مادة مسامية طبيعية مكونة من ألياف عضوية تمتص الماء وتحتفظ به ثم بعد ذلك يمكن إن تطلقه.

4- الخصوصية والربط بين الداخل والخارج : فألى جانب وظيفتها الادائية والجمالية هناك وظيفة اجتماعية تحققها الشناشيل فإطلالتها على الزقاق تناسبت مع عرض الزقاق مكونة زاوية رؤية تسمح لمن يقف عندها ان ينظر الى الزقاق دون ان يستطيع العابر ان ينظر اليه ، فهي اذن تقوم بتحقيق الخصوصية الكاملة لأهل البيت ، وفي الوقت نفسه تربط الداخل بالخارج عن طريق رؤية المنظر الخارجي باستثناء إعاقة بسيطة من دون فقدان عامل الخلوة الذي يعطي الساكن شعورا بالاطمئنان " [20] ، كما ان وجود الشناشيل وتصميمها حققت جمالية من نوع خاص من خلال تنوع انتشار الإضاءة الطبيعية داخل الفضاءات الداخلية وعلى مدار اليوم الواحد وكما هو مبين في الشكل رقم (4) والذي يوضح شناشيل البيت البغدادي من الخارج اما الشكل رقم (5) فيوضح شكل الشناشيل وتأثيراتها الضوئية من الداخل.

للبيت البغدادي مدخل رئيسي واحد فقط يكون في احد اركان البيت له " باب من مصراعين من الخشب السميك تثبت فيه مطرقة ذات شكل لطيف يصنع من البرونز كما يزين الباب من الخارج بمسامير كبيرة جميلة الراس من الجهة الخارجية " [21] ، يؤدي المدخل الى ممر (المجاز) يصل بين الزقاق والبيت ويكون عادةً " مستطيل الشكل مستقيم واحياناً على شكل منكسر، مما يجعل داخله ملتوياً على شكل زاوية قائمة هذا النوع من الممرات المنكسرة كان يستهدف غرضاً اجتماعياً بحتاً يتلاءم والتقاليد الشرقية ، فالعابر المتطفل لا يمكنه رؤية من في الداخل اذا ما فتح الباب الخارجي فيحفظ للعائلة نوعاً من الاستقلالية والطمأنينة وكذلك المحافظة على جو البيت ونظافته من العوارض الجوية كالتيارات الغبارية " [22] ، وفي هذا الممر احياناً سلم خاص للضيوف يصعد الضيف بواسطته الى فضاء الضيوف المطلة على الشارع والكبير نسبياً ويكون سقفه كسقف الفضاءات الاخرى مغطاة من الاسفل بالواح من الخشب ، والشكل رقم (6) يوضح التصميم الداخلي للممر (المجاز) في البيت البغدادي حيث ان لقطة (أ) توضح منظر الممر من داخل البيت و(ب) توضح وجود السلم الخاص بالضيوف داخل هذا الممر اما لقطة (ج) فتوضح الممر من باب البيت .

تشغل فضاءات الطابقين الارضي والاعلى للبيت البغدادي " الاطراف الاربعة من فناء البيت ، وقد تشغل ثلاثة اطراف او طرفين احيانا حسب الحاجة والطرف الخالي من الفضاءات يرتفع جداره بارتفاع الطابقين منعا للشرفية " [23] ، غير ان هذين الطابقين بفضاءاتهما لم تكن فضاءات مثالية تنسجم مع المناخ شبه القاري الذي يسود العراق بصورة عامة وبغداد بصورة خاصة وبالتالي احتاجت العائلة البغدادية الى نوع اخر من الفضاءات وبتصميم متميز يوفر التبريد لأكثر من نصف اشهر السنة الا وهو فضاء السرداب والذي يمثل " فضاءاً سكنياً مهما يلجأ اليه افراد العائلة

لقضاء ساعات القيلولة الطويلة ايام الصيف القائظ خاصة اوقات الظهيرة ، ويتصف هذا الملجأ بجدران سميكة وانخفاض ارضه عن مستوى ارضية البيت الى أكثر من ثلاثة امتار مما يساعد على حمايته من الحرارة اللاهبة ومساحته تتقيد في الغالب بمساحة الفضاء الذي يقع فوقه ، وهناك النيم سرداب وهو ايضا سرداب ولكن ارضيته تنخفض قليلا عن مستوى ارضية البيت ولا تتجاوز عادة المتر ونصف المتر ، ويعتبر ايضا مأوى مناخي مناسب للعائلة وتوجد على جوانب هذا الفضاء رفوفاً خشبية تدعى (تختبوش) والفراغ تحتها يدعى (رهرب) ينخفض عادة بعتبة او عتبتين عن مستوى ارضية النيم سرداب ويستخدم لخزن المؤونة الغذائية التي تتطلب درجات حرارة معتدلة وتهوية هذه الفضاءات تتم بواسطة شبابيك صغيرة جانبية تقع عند مستوى ارضية الفناء المكشوف " [24] ، اما مستوى عمق السرداب عن سطح البيت قد يكون بأربع درجات او أكثر غير ان " معظم السراديب مبنية بالأجر المهندم ، ولها سقف معقود بشكل قبب واطئة متعددة تسمى (عرقجين) تشبها بغطاء الرأس الصغير وتتم تهوية السرداب بواسطة مجار هوائية عمودية مبنية داخل الجدران السميكة تسمى (بادكيرات)كلمة فارسية الأصل بمعنى (آخذة الهواء) ولهذه المجاري الهوائية فتحات في اعلى السطح موجهة نحو اتجاه الريح السائدة في المنطقة وللسرداب نوافذ تطل على فناء البيت لغرض التهوية والنور ويتم تبليط ارضية السرداب بالآجر الاصفر (فرشي) او الرخام الموصلي الجيد " [25] والشكل رقم (7) فيه مجموعة لقطات لموقع وتصميم فضاء السرداب داخل البيت البغدادي فاللقطة (أ) منظور لفناء البيت فيه مدخل السرداب ، (ب) لقطة مقربة لمدخل السرداب وبيان تصميمها الفني ، اما اللقطة (ج) فقد اخذت من داخل السرداب لبيان انخفاض مستواه الافقي عن مستوى الطابق الارضي ، اللقطة (د) توضح سقف السرداب وتصميمه ، اللقطة (هـ) توضح مكان البادكير على الجدار وتصميم مكانه ، اللقطة (و) اخذت من داخل فضاء السرداب للنافذة المطلة على فناء البيت .

ان وجود الفناء الوسطي للبيت البغدادي تسبب في ان تكون الفضاءات الداخلية معرضة لتقلبات الجو مما دفع المصمم الى إيجاد " مكان متسع من البيت يحيط به ثلاثة جدران " [26] يدعى الايوان او الطارمة كنوع خاص من الفضاءات المغلقة المفتوحة والتي شكلت واجهات ظل للفضاءات المجاورة لها ورغم انها " لا تمنع الرياح او المطر احيانا ، فالخارج من الفضاء الداخلي يتعرض للبرد عند انتقاله من فضاء الى اخر، ولكنها تساعد في منع التسلط المباشر لأشعة الشمس صيفا " [27] بالإضافة الى انها استخدمت " للقيلولة اثناء فترة النهار في بعض الأحيان وسهلت على ربة البيت التنقل " [28] من مكان الى اخر داخل البيت دون التعرض المباشر لتأثيرات الجو ، كما وانها رفعت بأعمدة خشبية ذات اشكال جميلة ، وكما نلاحظ ذلك في الشكل رقم (8) والذي يوضح تصميم فضاء الايوان او الطارمة في البيت البغدادي للطابق الأرضي والأول .

عمد المصمم الى جعل ارتفاع السقف لفضاءات الطابق الأول اعلى من ارتفاع فضاءات الطابق الأرضي " وهذا ما ساعد على ابعادها عن تسلط حرارة الشمس في الصيف ، كما ان الارتفاع يساعد احيانا على تقسيم هذا الطابق الى طابقين يسمى القسم العلوي (كفشكان) ، يتخذ مخزنا للأثاث الزائد في البيت او يستخدم لمنام الخدم في الشتاء" [29] واحياناً يكون الكفشكان مجاوراً لفضاء استقبال الضيوف وبالتالي يستخدم لجلوس النساء كنوع من الفصل بين النساء والرجال في المناسبات الاجتماعية التي كانت تقام داخل البيوت لعدم توافر مراكز مخصصة لهذا النوع من التجمعات ، وكما نلاحظ ذلك في الشكل رقم (9) والذي يوضح مواقع مختلفة للكفشكان داخل البيت البغدادي مع لقطة توضيحية لموقع الدرج الذي يمكن من خلاله الصعود الى الكفشكان .

نظرا لانفتاح البيت البغدادي الى الداخل عمد المصمم الى جعل بيئة الفضاءات الداخلية وخصوصا الكبيرة منها والموجودة في الطابق العلوي متواصلة مع البيئة الخارجية والمتمثلة بالفناء الوسطي للبيت، عن طريق تصميم الفضاء " بثلاث جدران اما الرابع فهو عبارة عن واجهة من الشبابيك تطل على فناء البيت وتكون مزينة بزجاج ملون وبأخشاب منقوشة بنقشات عربية احياناً " [30] ، يدعى هذا النوع من الشبابيك بالآرسي ويكون فتحه وغلقه بحركة انسيابية الى الأعلى او بالعكس ، وكما هو موضح بالشكل رقم (10) .

لم يغفل المصمم ما لفضاءات البيت الأخرى من أهمية في دراسة توقيعها المناسب لادائيتها كفضاء المطبخ مثلاً ، وما قد يسببه من روائح لبيئة شبه مغلقة مثل بيئة البيت البغدادي ، لذا صمم المطبخ ليحتل " احد اركان البيت في مكان بعيد عن مصدر هبوب الرياح ، وذلك لمنع تصاعد الدخان الى الفضاءات الأخرى "[31] ، مع مراعاة ان تكون مساحته متناسبة مع مساحة البيت ككل وعدد ساكنيه ، حيث امتازت الاسرة البغدادية بانها " اسرة كبيرة تحكمها العادات والتقاليد وتتكون من الزوجين او اكثر من زوجة وتضم أبنائهم المتزوجين وغير المتزوجين وبناتهم " [32] وبالتالي كان البيت البغدادي يسكنه ثلاثة أجيال تقريباً من العائلة الواحدة .

ان امتداد صيف العراق لأكثر من ثلثي اشهر السنة ونظراً لصغر مساحة البيت البغدادي والتي تتراوح عادةً مابين (50 - 150 م^2) ولكثرة عدد شاغلي البيت دفع العائلة البغدادية الى استخدام فضاء السطح كفضاء نوم ليلاً ، " وكلما ارتفع السطح كان اكثر عرضة للهواء الطلق فيبرد جوه ويحلو المنام فيه والمرجح هو ان السطوح كانت محاطة بأسيجة يقصد منها عدم الاطلاع على الغير من الناس في بيوتهم توافقا في ذلك مع ما كانت عليه الأعراف والتقاليد " [33] ، والتي شكلت مرتكزا أساسيا في طبيعة المجتمع البغدادي المحافظ ، والشكل رقم (11) يوضح استخدام فضاء السطح للنوم من قبل العائلة البغدادية .

ومما تقدم تبين لنا ان البيت البغدادي على الرغم من صغر مساحة الأرض التي شيد عليها " والتي تتراوح ما بين (50 – 150) م^2 ، الا انه يتكون من 5 – 6 مستويات ، اذ تبدأ هذه المستويات المعيشية بفضاء (السرداب) و (النيم سرداب) ، والطابق الارضي ثم الطابق العلوي والطابق النصفي حيث يقع فيه فضاء الكفشكان في الزاوية الركنية ، ومن ثم مستوى السطح العلوي وبهذا يتراوح الارتفاع الكلي للدار من 11-15 م واذا اخذنا مساحة قدرها 100 م^2 كمعدل لقطعة الارض المشغولة من قبل بيت بغدادي تقليدي ما فان معدل المساحة المشيدة لجميع المستويات المذكورة آنفاً غالبا ما تبلغ اكثر من 350 م^2 ويدل هذا الرقم الكبير على مدى الكفاءة التصميمة العالية اذا ما قارنا البيوت البغدادية الحديثة والمشيدة على قطعة ارض 600 م^2 ، واذا ما افترضنا بان معدل المساحة المشيدة بطابقين هي 350 م2 فان نسبة البناء الى مساحة الارض تبلغ في البيت ستة اضعاف عما هو عليه في البيت الحديث "[34] ، وهذا يعني ان المصمم للبيت البغدادي كان اكثر كفاءة في استغلال المساحات بشكل توسع عامودي يمكنه من إيجاد فضاءات داخلية متعددة تلبي حاجة ساكني البيت ، والشكل رقم (11) يوضح مسقط افقي لبيت بغدادي مبينا فيه مستويات البناء وتوزيع الفضاءات الداخلية لكل مستوى .

يتضح مما تقدم بان البيت البغدادي ونظرا لخصوصيته لا يمكن وصفه بغير انه مثل بيئة داخلية أسهمت يد المصمم المبدع في تفاعلها مع البيئة الخارجية من خلال تحاور تفاعلي على مستوى المؤثرات نتج عنه تشكيلا كتليا فريدا من نوعه ظاهره البساطة والتي حققت الارضاء الذهني للمتلقي اما باطنه فكان تعقيدا مرنا لا يخلو من الانسجام بين وحداته ككل، هذه الوحدة ضمت بين جوانحها تعدد متجانس متكامل العطاء.

نتائج واستنتاجات البحث:

1-التصميم الداخلي فن وعلم المحاكاة والاضافة من خلال تطويع المعطيات المتعددة في تحقيق علاقات متعددة.

2-التصميم الداخلي هو ليس عملية ابهار شكلي بقدر ما هو عملية تحقيق وظائف متعددة لحاجات إنسانية متعددة.

3-التصميم الداخلي للبيت البغدادي هو مزيج متجانس متكامل ما بين حضارة وادي الرافدين والحضارة الاسلامية مرورا بتوجهات وحركات متعددة فرضت عليه نتيجة احتلال او احتكاك او محاكاة رسمت طابعه الخاص.

4-التنوع الجغرافي والحضاري والعرقي الناتج من الحضارات والتيارات الفكرية والاجتماعية التي حكمت العراق كانت مصدر غنى وابداع في تشكيل الواقع العمراني العراقي من خلال سلسلة نتاجات عمرانية كان أبرزها واهمها التصميم الداخلي للبيت البغدادي.

5-التصميم الداخلي للبيت البغدادي حقق متطلبات الواقع البغدادي ومستندا الى مرجعياته المتمثلة بالحضارات السابقة وفق رؤية مستقبلية واضحة.

6-ارتكز التصميم الداخلي للبيت البغدادي على تحقيق أكثر من هدف من خلال الاحتواء الى الداخل وترسيخ الخصوصية ومبدأ الشرفية والاستفادة من الطبيعة في المحافظة على بايولوجية البيت.

7-مثل البيت البغدادي تشكيلا كتلياً فريدا من نوعه ضمن قطعة جغرافية محددة، محتوياً بين جدرانه الضيقة عالم واسع من المعالجات البيئية والاجتماعية والوظيفية.

8-اصرار المصمم على انشاء أكبر عدد من الفضاءات ضمن حدود البيت البغدادي مع صغر المساحة لم يكن فعلاً عبثياً بقدر ما هو مطلباً فرضته مؤثرات البيئة المتعددة.

9-رغم صغر مساحة الفناء الوسطي للبيت البغدادي الا انه مثل بيئة داخلية خارجية وصلت البيت بالمحيط الخارجي مغذياً إياه بمعطيات الطبيعة كالهواء والضوء والاتصال بالسماء روحانياً.

10-التناظر المفرط في توقيع الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي حقق الالفة مع المستخدم.

11-التوسع العامودي في توقيع الفضاءات الداخلية للبيت البغدادي كان رد فعل ابداعي للمساحة الصغيرة والتي فرضها النسيج الحضري للمدينة عموما.

12-لم يخلو التصميم الداخلي للبيت البغدادي من العامل الجمالي المتمثل باستخدام النقش على الاجر او الخشب المستخدم في البناء مع وضع الزجاج الملون في فتحات الشناشيل والآرسي.

مقترح البحث:

القيام بدراسة عملية حول امكانية تصميم بيت بغدادي حديث يعتمد معايير التصميم الداخلي للبيت البغدادي القديم وبمواد انشائية حديثة.

توصيات البحث:

بناءاً على ما ورد في مجريات البحث وما تمخض عنه من نتائج واستنتاجات، يوصي الباحث المؤسسات الرسمية والهندسية بوضع مدونة (code)، تعتمد المعايير المتبعة في تصميم البيت البغدادي التقليدي كاساس في التصميم الداخلي للبيت البغدادي الحديث مع الاخذ بنظر الاعتبار اهم المستجدات التصميمية على المستوى العالمي وبما يخدم الواقع المحلي.

ملحق الصور

شكل رقم (1) وجود الشاذروان في وسط البيت
تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)

شكل رقم (2) صورة جوية لاثار مدينة بابل
المصدر WWW.AMERALKUBAISI.COM

شكل رقم (3) صورة جوية لبيوت بغدادية
المصدر WWW.AMERALKUBAISI.COM

شكل رقم (4) يوضح شكل شناشيل البيت البغدادي ، تصوير الباحث (شناشيل منتدى بغداد الثقافي ومجاوراته)

شكل رقم (5) يوضح شكل الشناشيل وتأثيراتها الضوئية من الداخل تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي من الداخل)

شكل رقم (6) التصميم الداخلي للممر (المجاز) في البيت البغدادي ، تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)

شكل رقم (7) فيه مجموعة لقطات لموقع وتصميم فضاء السرداب داخل البيت البغدادي
تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)

شكل رقم (8) تصميم فضاء الإيوان او الطارمة في البيت البغدادي للطابق الأرضي والطابق الأول
تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)

شكل رقم (9) يوضح مواقع مختلفة للكفشكان داخل البيت البغدادي مع لقطة توضيحية لموقع الدرج الذي يمكن من خلاله الصعود الى الكفشكان ، تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)

شكل رقم (10) موضحاً فيه تصميم الآرسي
تصوير الباحث (منتدى بغداد الثقافي)
WWW.AMERALKUBAISI.COM

شكل رقم (11) يوضح استخدام فضاء السطح للنوم
من قبل العائلة البغدادية ، المصدر

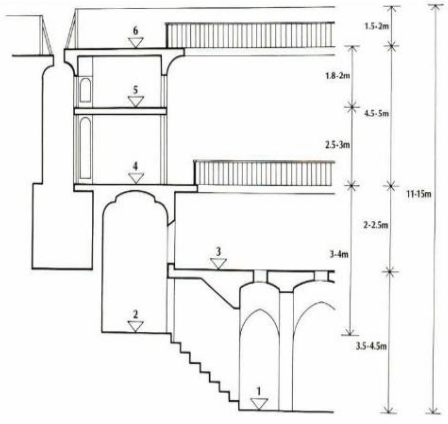

شكل رقم (11) يوضح مسقط افقي لبيت بغدادي مبينا فيه مستويات البناء وتوزيع الفضاءات الداخلية لكل مستوى ،
المصدر JOHN WARREN & IHSAN FETHI , " **IBID** " P.64

المصادر

المصادر العربية

1- احمد مختار عمر ، " معجم اللغة العربية المعاصرة " ، ط 1 ، مج 2 ، مكتبة عالم الكتب ، القاهرة ، 2008 .

2- انطوان الياس ، ادورد الياس ، " قاموس الجيب " ، دار الجيل بيروت ، 1973م .

3- جميل صليبا ، " المعجم الفلسفي " ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م .

4- حسن فتحي " الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية " ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1988 م .

5- حليم بركات " المجتمع العربي المعاصر - بحث استطلاعي اجتماعي " ، مركز دارسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1996 م .

6-الحيدري ، علي ، " البيت البغدادي – نموذج لبيت سكني يعود تاريخه الى الاف السنين والتطورات التي طرأت على محيطه " ط1 ، دار المدى ، بغداد ، 2008 م .

7- الزركاني ، خليل حسن ، " عمارة البيت الشعبي العراقي -البيت البغدادي والموصلي انموذجاً " بحث منشور في مجلة الثقافة الشعبية ، ع 25 ، السنة السابعة ، ربيع 2014 م ، ص 170 -181 .

8- شريف يوسف " تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور " ، تحرير : احسان فتحي ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2014 م .

9-شيرين احسان شيرزاد ،" مبادىء في الفن والعمارة " ، بغداد ، المكتبة الوطنية ، 1985م .

10- فريال مصطفى " البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي " ، دار الحرية للطباعة ، جمهورية العراق ، 1983م .

11-كاتوت ، سحر امين ، " البيئة والمجتمع " ، ط 1 ، دار دجلة ، عمان ،2009 م .

12- لويس معلوف ، " المنجد في اللغة " ، ط 19 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،لا توجد سنة .

13-نوبي محمد حسن ،" اسس التفضيل الجمالي في مجال العمارة " ، بحث منشور في مجلة الديرة ، الجمعية السعودية لعلوم العمران ، الرياض ،2002 م ، ص 1-3 .

14- يحيى وزير ، " العمارة الإسلامية والبيئة " ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2004 م .

15- * * * ، " المعجم الفلسفي " ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤن المطابع الاميرية ، القاهرة ، 1983 م .

16- * * * ، " المعجم الوسيط " ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 .

المصادر الاجنبية

17- CORKY BINGGELI , A.S. I.D " BUILDING SYSTEMS FOR INTERIOR DESIGNERS " JOHN WILEY & SONC, INC, AMERICA , 2003

18-HUYGHE , RENN , ED " LAROUSSE ENCYCLOPEDIA OF BYZANTINE AND MEDIEVAL ART , HAMLYN " LON , 1981 .

19 - JOHN WARREN & IHSAN FETHI " TRADITIONAL HOUSES IN BAGHDAD " FIST PUBLISHED , COACH PUBLISHING HOUSE LTD , ENGLAND , 1982 .

20- **** WINDOW, " CONFIGURATION - DESIGN FOR DAY LIGHTING PRODUCTIVITY " , AIA, EHRENKRANTZ GROUP , 1989 .

مواقع الانترنت

21- WWW.SAOTALIASSAR.ORG

22- WWW.ZARKAN56.BLOGSPOT.COM

الهوامش

• اختار الباحث هذه العينة كونها عينة انشأت في بداية القرن التاسع عشر ولازالت قائمة لغاية الان وتمثل أنموذجاً حاوياً لجميع متغيرات المجتمع الاصلي (البيوت البغدادية التقليدية لبداية القرن التاسع عشر) وبالتالي يمكن للباحث تعميم النتائج التي سيتوصل اليها البحث والركون اليها ، علماً ان العينة تابعة الى امانة بغداد ، موقعها منطقة الكاظمية – البحية -رقم القطعة 23/127 محلة التل 429 ومساحتها حوالي 150 م2.

[1] * * * ، " المعجم الوسيط " ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 ، ص 587 .

[2] احمد مختار عمر ، " معجم اللغة العربية المعاصرة " ، ط 1 ، مج 2 ، مكتبة عالم الكتب ، القاهرة ، 2008 ، ص1464- 1465

[3] انطوان الياس ، ادورد الياس ، " قاموس الجيب " ، دار الجيل بيروت ، 1973م ، ص 283 .

[4] جميل صليبا ، " المعجم الفلسفي " ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م ، ص 302 .

[5] * * * ، " المعجم الفلسفي " ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤن المطابع الاميرية ، القاهرة ، 1983 م ، ص 48.

[6] نوبي محمد حسن ،" اسس التفضيل الجمالي في مجال العمارة " ، بحث منشور في مجلة الديرة ، الجمعية السعودية لعلوم العمران ، الرياض ،2002 م ، ص1

[7] شيرين احسان شيرزاد ،" مبادىء في الفن والعمارة " ، بغداد ، المكتبة الوطنية ، 1985م ، ص 279 .

[8] كاتوت ، سحر امين ،، " البيئة والمجتمع " ط 1 ، دار دجلة ، عمان ، 2009م ، ص 131

[9] يحيى وزير ، " العمارة الإسلامية والبيئة " ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2004 م ، ص12

[10] HUYGHE , RENN , ED " LAROUSSE ENCYCLOPEDIA OF BYZANTINE AND MEDIEVAL ART , HAMLYN " LON , 1981 , P.12

• احسان فتحي معماري ومخطط مدن عراقي له الكثير من المؤلفات ، المصدر WWW.SAOTALIASSAR.ORG

[11] JOHN WARREN & IHSAN FETHI " TRADITIONAL HOUSES IN BAGHDAD " FIST PUBLISHED , COACH PUBLISHING HOUSE LTD , ENGLAND , 1982 , P.217.

[12] يحيى وزير " مصدر سابق " ، ص 12

[13] " **** , DESIGN FOR DAY LIGHTING -WINDOW CONFIGURATION AIA, EHRENKRANTZ GROUP , 1989 , P 125 . PRODUCTIVITY " ,

[14] الحيدري ، علي ، " البيت البغدادي – نموذج لبيت سكني يعود تاريخه الى الاف السنين والتطورات التي طرأت على محيطه " ط1 ، دار المدى ، بغداد ، 2008م ، ص72

[15] شريف يوسف " تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور " ، تحرير : احسان فتحي ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2014 م ، ص579

[16] الحيدري ، " مصدر سابق " ، ص 149

[17] CORKY BINGGELI , A.S. I.D " BUILDING SYSTEMS FOR INTERIOR DESIGNERS " JOHN WILEY & SONC, INC, AMERICA , 2003 , P.277 .

[18] شريف يوسف " مصدر سابق " ، ص 585

[19] حسن فتحي " الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية " ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1988 . ص95 -96

[20] WWW.ZARKAN56.BLOGSPOT.COM

[21] شريف يوسف " مصدر سابق " ص 584

[22] فريال مصطفى " البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي " ، دار الحرية للطباعة ، جمهورية العراق ، 1983م . ص108-109

[23] شريف يوسف " مصدر سابق " ص 581

[24] الحيدري ، " مصدر سابق " ، ص 100

[25] شريف يوسف " مصدر سابق " ص 581

[26] لويس معلوف ، " المنجد في اللغة " ، ط 19 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،بدون تأريخ ، ص23

[27] شريف يوسف ، " مصدر سابق " ، ص 585

[28] فريال مصطفى ، " مصدر سابق " ، ص116

[29] شريف يوسف ، " مصدر سابق " ، ص 585

[30] الزركاني ، خليل حسن ، " عمارة البيت الشعبي العراقي -البيت البغدادي والموصلي انموذجاً " مجلة الثقافة الشعبية ، ع 25 ، السنة السابعة ، ربيع 2014 م ، ص 174

[31] فريال مصطفى ، " مصدر سابق " ، ص 126

[32] حليم بركات " المجتمع العربي المعاصر - بحث استطلاعي اجتماعي " ، مركز دارسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1996م ، ص ١٩٣

[33] فريال مصطفى " مصدر سابق " ص 131-132

[34] JOHN WARREN & IHSAN FETHI , " IBID" P. 216

The Pluralism In The Interior Spaces Design Of The Baghdadi House

Alaa Talib Kareem

Abstract:

Since his first existence on earth, human had formed a connecting link for a regressive, kinetic and developed relationship that comes from a semi-complicated interaction between natural environment and constructed environment, and this resulted in the survival of human and his existence continuance. Constructed environment enabled human to survive the natural environment inconstancies and enemies as predators, also it helped him to feel safe, comfortable and to practice his everyday life activities...etc. This alternative interaction resulted in creating a civilized legacy for a group of landmarks that tell about the development of this relationship by elemental output that reached us either by documents and manuscripts or as an existed landmark and by analyzing it we can realize the intellectual, cultural, scientific and social dimension of human during that era. The Baghdadi house is considered as one of these landmarks that tells about simplicity as a closed block from the outside and flexible complicated from the inside in a Pluralism gathering not in the number of spaces but in the multi-functionality of each space.